شرح

الجامع لعبادة الله وحده

الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٥٨٣ / ٢٠٠٦م

دار الإمام أحمد

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

سلسلة شرح الرسائل

(٦)

شرح

الجامع لعبادة الله وحده

للإمام محمد بن عبد الوهاب ١١١٥-١٢٠٦هـ

شرح

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بنشرها والتعليق عليها

عبد السلام بن عبد الله السليمان

دار الإمام أحمد

صورة الإذن الخطي بطبع كتب

فضيلة الشيخ

عبد السلام بن عبد الله السليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد السلام بن عبد الله السليمان

الرقم :
التاريخ :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أذنت لدار الإمام أحمد للنشر والتوزيع والصوتيات لصاحبها: أبو عبد الله محمد بن عبد الغني القاهري بطباعة الكتب التي اعتنيت بها وأخرجتها وهي :

١. سلسلة شرح الرسائل لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

٢. التعليق المختصر على القصيدة النونية لفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

٣. شرح الدرة المضية لفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

٤. شرح لمعة الاعتقاد لفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

وذلك لمرة واحدة، على أن يقوم بإرسال ثلاثة نسخ من الكتب المذكورة بعد طباعتها للاطلاع عليها

عبد السلام بن عبد الله السليمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين:

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه اللَّه تعالَى-:

فإن قيل: فما الجامع لعبادة اللَّه وحده؟

قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه [١].

---

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمد للَّه رب العالَمين، وصلى اللَّه وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن اللَّه ﷻ، خلق الجن والإنس لعبادته، كما قال تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

بل إنه سبحانه خلق الملائكة أيضًا لعبادته، كما قال تعالَى:

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ لَا يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، والعبادة مأخوذة من التعبد وهو التذلل.

يقال: طريق مُعبَّد، إذ ذللته الأقدام، هذا من ناحية اللغة.

وأما فِي الشرع: فعرَّفها العلماء تعاريف كثيرة.

التعريف الأول: أنَّها غاية الحب مع غاية الذل.

كما قال الإمام ابن القيم -رحِمه اللَّه تعالَى- فِي النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه
مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر
ما دار حَتَّى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله
لا بالهوى والنفس والشيطان

فلابد من الجمع بين الأمرين: غاية الْحُب مع غاية الذل، فمن أحب شيئًا ولَم يذل له، لَمْ يكن ذلك عبادة له.

كما يُحب الإنسان زوجته، ويُحب أولاده، لكنه لا يذل لَهم، فحب الزوج لزوجته وحبه لأولاده، وحب الولد لأبويه وأقاربه، لا يسمى عبادة، لأنه ليس معه ذل.

وكذلك من ذل لشيء ولَم يُحبه فليس ذلك عبادة له، كمن ذل لِجبار من الْجَبابرة، أو لظالِم من الظلمة، لكنه لا يُحبه، فهذا ليس بعبادة، إنَّمَا العبادة ما جمعت بين الأمرين: غاية الْحُب مع غاية الذل، وهذا لا يكون إلا للَّه ﷻ، ولابد أن تدور عليهما أفلاك العبادة بِجميع أنواعها، ولِهذا قال:

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حَتَّى قامت القطبان

يعني: على الأصلين: الحب والذل.

فإنسان يقتصر على الْحُب والذل من غير أن يفعل ما أمر اللَّه به، وأن يترك ما نهى اللَّه عنه، لا يُعتبر عابدًا للَّه، فغاية الْحُب

فإن قيل: فما أنواع العبادة الَّتِي لا تصلح إلا للَّه تعالَى؟ [٢].

مع غاية الذل يقتضيان امتثال أوامر اللَّه ﷻ واجتناب نواهيه، وبِهذا تتحقق العبادة.

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بتعريف شامل دقيق، فقال: العبادة: اسم جامع لكل ما يُحبه اللَّه ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، كل ذلك عبادة، وله رسالة فِي هذا جيدة، اسمها «العبودية»، ذكر فيها هذا التعريف، وذكر أنواع العبادة الَّتِي أمر اللَّه تعالَى بِهَا فِي كتابه، أو أمر بِهَا رسوله ﷺ فِي سنته.

والشيخ هنا يقول: (فإن قيل) يعنِي: لو سئلتَ (ما الجامع لعبادة اللَّه؟) أي: ما هو التعريف الْجَامع لعبادة اللَّه باختصار، فإنك تقول: (طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه).

[٢] العبادة أنواع كثيرة كما قال شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يُحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فتكون ظاهرة على الجوارح: كالصلاة والصيام

قلتَ : من أنواعها الدعاء [٣] .

والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وغير ذلك، وهذه عبادات ظاهرة، والعبادات الباطنة تكون فِي القلوب: من الخوف والخشية والرغبة والرهبة والْمَحبة والتوكل والإنابة هذه كلها عبادات قلبية لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ، ومنها ما هو على اللسان مثل: ذكر اللَّه، والتسبيح والتهليل والتحميد، والدعوة إِلَى اللَّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع.

[٣] أنواع العبادة كثيرة أعظمها: الدعاء، قال اللَّه ﷯: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

أمر اللَّه بدعائه وسمى ذلك عبادة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ أي: عن دعائي، وقال النَّبِي ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»**(١) .

فالدعاء هو أعظم أنواع العبادة، فمن دعا غير اللَّه من

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، والترمذي (٢٣٧٢)، وابن حبان (٨٩٠).

....

الْمَوتَى والْمَقبورين والجن والشياطين، فقد أشرك باللَّه الشرك الأكبر، قال تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]. مُخلصين له فِي الدعاء، فسمى الدعاء دينًا، كما سماه فِي الأخرى عبادة، إذن فالدعاء دين، والدعاء عبادة للَّه عَزَّوَجَلَّ، وهذا مِما يدل على عظم الدعاء، وأنه لا يَجوز أن يدعو غير اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه هو القادر على كل شيء، وهو الذي إذا دعوته فإنه يقدر على إجابتك ويقدر على إعطائك ما تريد، أما غير اللَّه فإنه عاجز.

كما قال تعالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. لأنَّهم أموات أو جمادات لا تسمع

والاستعانة [٤].

الدعاء ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟﴾ [فاطر: ١٤] ما يقدرون على الإجابة؛ لأنَّهم فقراء لا يَملكون شيئًا، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] فكيف يدعون مع الله سبحانه وتعالى؟! بل كيف يُترك دعاء اللَّه ويُصرف الدعاء لغير اللَّه من هؤلاء الأموات، والأشجار والأحجار والغائبين؟! أين عقول بني آدم؟! تدعو أناسًا لا يسمعون، ولو أنَّهم سمعوا لَمْ يقدروا على الإجابة؛ لأنَّهم لا يَملكون شيئًا؟!

[٤] الاستعانة: طلب العون على أمر من الأمور، وطلب العون على قسمين:

القسم الأول: أن تطلب العون مِمَّن يقدر على إعانتك، وهذا يَجوز أن تستعين بالْمَخلوق فيما يقدر عليه، واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. فالتعاون بين الناس فيما يقدرون عليه وينفعهم أمر طيب، إذا كان الإنسان حيًا حاضرًا قادرًا على أن يعينك فهذا لا بأس به، كأن تطلب من يساعدك بالْمَال، أو يعينك على حمل شيء، أو يعينك على بناء حائط، أو يعينك

على حصاد زرع، وهذه أمور يقدر عليها الناس، لا بأس بالاستعانة بالْمَخلوقين فيها، ولا يُعدُّ هذا شركًا **«واللَّه فِي عون العبد ما كان العبد فِي عون أخيه»**[١].

النوع الثاني: الاستعانة بغير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، كالاستعانة فِي حصول الرزق، أو الاستعانة بِحصول الولد والذرية، أو الاستعانة فِي شفاء الْمَرضى، أو غير ذلك، فهذا لا يطلب إلا من اللَّه، قال تعالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد سواك؛ لأن تقديم الْمَعمول يفيد الحصر، ثُمَّ قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الاستعانة نوع من أنواع العبادة وهي طلب العون من اللَّه تعالَى، وعطفها عليها من باب عطف الخاص على العام اهتمامًا به، فالاستعانة باللَّه عزَّ وجلَّ فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه سبحانه وتعالى: كشفاء الْمَرضى وإنزال المطر، وإيجاد الرزق، وغير ذلك من الأمور الَّتِي لا يقدر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٢٢٧)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥) وابن ماجه (٢٢٥) من حديث أبِي هريرة.

والاستغاثة [٥] .

عليها إلا اللَّه، فهذه لا تطلب إلا من اللَّه، لا تُطلب من الأموات، ولا من القبور، ولا من الأضرحة، ولا من الأصنام، ولا من الأحجار والأشجار، فمن طلبها من غير اللَّه فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر المُخرج من الملة.

[٥] الاستغاثة: نوع من الاستعانة لكنها أخص، فالاستعانة عامة والاستغاثة خاصة؛ لأنها لا تكون إلا فِي أمور الشدة، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

هذا فِي وقعة بدر لَمَّا اشتد الأمر بالمسلمين، استغاثوا بربهم، لكنها أخص من الاستعانة لأنها لا تكون إلا فِي حال الشدة، فيجب إخلاص الاستغاثة للَّه عز وجل، ولا يَجوز الاستغاثة بالأموات، كثير مِمَّن يدَّعون الإسلام، إذا وقعوا فِي شدة يستغيثون بأمواتهم وأوليائهم، ويصرخون بأسمائهم فِي البر والبحر، وهذا من غلظة شركهم، فصاروا أغلظ شركًا من الأولين؛ لأن المشركين الأولين يشركون فِي حالة الرخاء، لكنهم فِي حال الشدة يُخلصون الدعاء والاستغاثة للَّه عز وجل؛ لأنَّهم يعلمون أنه لا ينقذ من الشدائد إلا اللَّه سبحانه وتعالى، أما مشركو

وذبح القربان [٦].

هذا الزمان فإنهم على العكس، إذا وقعوا فِي شدة استغاثوا بغير اللَّه، ونادوا بأسماء معبوداتهم كما هو معلوم عنهم.

[٦] الذبح على قسمين:

القسم الأول: الذبح لأكل اللحم، هذا مباح وليس هو عبادة، وإنَّما هو ذبح للأكل، فهو مباح، إلا أنه لابد أن يذكر عليه اسم اللَّه عند الذبح، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

النوع الثاني: الذبح على وجه التقرب للَّه -جل وعلا-، فهذا نوع من أنواع العبادة، كذبح الأضاحي، وذبح الهدي، وذبح العقيقة للمولود، هذه ذبائح عبادة لا يَجوز التقرب بِهَا إلا للَّه عَزَّوَجَلَّ، فمن ذبح لغير اللَّه على وجه التقرب فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر، قال تعالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]. النسك: الذبح وقرنه مع الصلاة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾ [الكوثر: ٢]. قرن النحر مع الصلاة، فكما أنه لا تَجوز الصلاة لغير اللَّه، فكذلك الذبح والنحر على وجه التقرب لا يكون إلا للَّه، فمن ذبح يتقرب إِلَى ميت أو إِلَى قبر أو إِلَى ضريح كما عليه عباد القبور اليوم، فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر.

وفِي الْحَديث عن علي رضي الله عنه قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**لعن اللَّه من ذبح لغير اللَّه، لعن اللَّه من لعن والديه، لعن اللَّه من آوى مُحدثا، لعن اللَّه من غير منار الأرض**»(١).

فمن هذه الأمور الْمَلعون من فعلها: الذبح لغير اللَّه، من ذبح لغير اللَّه كأن يذبح للقبور يتقرب إليهم ليقضوا له حوائجه، أو يذبح للجن من أجل ألَّا يضروه، كما يفعله بعض الناس إذا نزل منزلًا جديدًا يذبح للجن من أجل أنَّهم لا يضرونه فِي هذا الْمَنزل، يذبح عند الباب ويرش من دمه على الجدران، يتقرب إِلَى الجن، أو إذا أقام مشروعًا من المشاريع كالمصانع يذبح عند أول حركة الآليات لأجل أن المصانع تسلم، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (٨٥٥).

والنذر [٧] .

إذا قدم ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء يذبَحون عند وصوله، والسلام عليه تعظيمًا له، ذبح تَحية، أما لو كانوا يذبَحون له وليمة، فلا بأس، هذا من الْمُباحات، لكن يذبَحون تعظيمًا له، إذا نزل من الطائرة أو نزل من السيارة يذبَحون تَحت السيارة وتَحت الطائرة، تعظيمًا لِهذا الوافد، هذا من الشرك؛ لأنه من باب التحية والتعظيم.

[٧] النذر: هو التزام عبادة لَمْ يلزم بِهَا الشرع، وهو نوع من أنواع العبادة، قال تعالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]. فأثنى عليهم أنَّهم يوفون بالنذر، وقال تعالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. قرنه مع النفقة والصدقة، والنفقةُ والصدقة عبادة، فيكون النذر عبادة، قال سبحانه: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. قرنه مع الطواف، والطواف عبادة للَّه عَزَّوَجَلَّ، فالوفاء بالنذر عبادة، هذا فِي نذر الطاعة، إذا نذر أن يتصدق، إذا نذر أن يصلي، إذا نذر أن يصوم، إذا نذر أن يَحج، إذا نذر أن يعتمر، قال ﷺ: «من

والخوف [٨].

نذر أن يطيع اللّه فليطعه»(١)، أما نذر الْمَعصية فإنه يَحرم الوفاء به، قال ﷺ: **«ومن نذر أن يعصي اللّه فلا يعصه»**.

ومِنْ نذر الْمَعصية: النذرُ للقبور، فمن نذر لقبر أو نذر لِميت فإنه يكون مشركًا شركًا أكبر؛ لأنه صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير اللّه سبحانه وتعالى.

[٨] الْخَوف من أعمال القلوب، فهو عبادة قلبية، والمراد خوف العبادة، وهو الخوف الذي يكون معه تعظيم ومحبة للمخوف، يُحبه ويَخافه، هذا خوف العبادة ويسمى خوف السر، وهو لا يَجوز إلا للّه عز وجل، فالذي يَخاف من مَخلوق خوف العبادة فإنه أشرك، وإذا عمل له نوعًا من أنواع العبادة لأنه يَخافه، مثل الذي يَخاف من الجن فيذبح لَهم، أو الذي يَخاف من الميت فيذبح له، هذا خوف عبادة، فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر، أما الخوف الطبيعي كأن تَخاف من العدو، وتَخاف من السباع، وتَخاف من الثعابين، فهذا خوف طبيعي،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦)، وأحمد (٢٤٠٧٥) من حديث عائشة.

والرجاء [٩].

ليس هو بعبادة.

[٩] من أنواع العبادة: الرجاء: وهو تأميل الخير فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، فلا يَجوز أن ترجو غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، أما الرجاء فِي الأمور العادية، كأن ترجو من شخص أن يعطيك مالاً أو يساعدك فيما يقدر عليه، فهذا ليس من العبادة.

تقول: يا أخي، أرجوك أن تعطيني كذا وكذا، مِمَّا يقدر عليه، لكن لا ترجُ مَخلوقًا فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، كالذين يرجون الأموات والغائبين والجن، هذا رجاء العبادة فلا يَجوز، وهو شرك أكبر.

والتوكل [١٠].

---

[١٠] من أنواع العبادة: التوكل: وهو تفويض الأمور إلَى اللَّه ﷻ والاعتماد عليه، قال اللَّه تعالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. قرنه مع العبادة، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ هذا حصر؛ لأن تقديم الْجَار والْمَجرور على الفعل يفيد الحصر، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا على غيره ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: لا على غيره، فالتوكل عبادة لا يَجوز إلا للَّه.

أما التوكيل فيما يقدر عليه الْمَخلوق، كأن توكل أحدًا يشتري لك حاجة، وتوكل أحدًا يعمل لك عملًا، هذا جائز، الرسول ﷺ وَكَّل من يشتري له، وكان يوكل العمال ينوبون عنه فِي بعض الأمور، قال تعالَى عن أصحاب الكهف أنَّهم قالوا: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]. هذا توكيل، فالتوكيل جائز، أما التوكل فإنه يكون

والإنابة [١١] .

خاصًّا بالله عز وجل .

[١١] والإنابة: الرجوع، والإنابة والتوبة بِمعنى واحد، قال تعالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] .

والْمَحبة [١٢].

---

[١٢] الْمَحبة: لَها مقام عظيم فِي العبادة، وهي مَحبة اللَّه ﷻ؛ لأن الْمَحبة على قسمين:

مَحبة عبادة: وهي الَّتِي يكون معها ذل وخضوع للمحبوب، وهذه لا تكون إلا للَّه ﷻ؛ لأنها مَحبة عبادة.

أما النوع الثاني: وهو الْمَحبة الطبيعية كأن تُحب الْمَال، وتُحب زوجتك، وتُحب أولادك، وتُحب والديك، وتُحب من أحسن إليك، هذه مَحبة طبيعية لا تعد من العبادة؛ لأنها ليس معها ذل، وليس معها خضوع، وإنَّما هي مودة مُجردة، إلا إذا قدم مَحبة هذه الأشياء على مَحبة اللَّه تعالَى فإنه يكون عليه وعيد شديد، كما قال تعالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فاللَّه لا يقدَّم على مَحبته مَحبة شيء من الأموال والأولاد والبلاد وغير ذلك، فإن تعارضت مَحبة اللَّه مع مَحبة غيره من

والْخَشية [١٣].

الأموال والأولاد فإنه يقدم مَحبة اللَّه.

[١٣] الْخَشية: هي نوع من الخوف، قال اللَّه تعالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠]. فلا تقدم خشية الْمَخلوق على خشية اللَّه، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

والرغبة [١٤]. والرهبة [١٥]. والتأله [١٦].

---

[١٤] فالرغبة تكون إلَى اللَّه -جل وعلا- وهي الطمع فيما عنده، قال تعالَى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وهي الرغبة فيما عند اللَّه، والتعلق باللَّه عَزَّوَجَلَّ، فإذا رغب فيما عند اللَّه حمله ذلك على طاعة اللَّه، وتقديم رضا اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[١٥] والرهبة كذلك هي نوع من الخوف، قال تعالَى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. يَجب أن ترهب اللَّه وتَخاف من اللَّه وتَخشى اللَّه، ولا ترهب الْمَخلوقين رهبة تَجعلهم فِي منزلة اللَّه أو يساوون اللَّه عَزَّوَجَلَّ، لا ترهب منهم فتتركَ طاعة اللَّه من أجلهم.

[١٦] التأله: التعبد، ويطلق التأله ويراد به الْمَحبة من الوله، وهو الْمَحبة، هذا حق للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالألوهية حق للَّه -جل وعلا-، لا يَجوز أن يُتخذ معه إلهٌ آخر يؤله ويُحب ويعبد مع اللَّه عَزَّوَجَلَّ، فالألوهية حق للَّه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤]. يعني: يألهه ويعبده ويُحبه أهل السماء وأهل الأرض.

والركوع والسجود [١٧].

---

[١٧] الركوع عبادة لا يكون إلا لله، لا يركع الإنسان لأحد، ولا يَخضع لأحد ولا ينحني لأحد تعظيمًا له، فالانحناء على وجه الذل والتعظيم لمن انحنَى له ركوع لغير الله ﷿، ولا يَسجد إلا لله، لا يسجد للصنم، ولا للقبر ولا للضريح، ولا لعظيم من العظماء، لا يَجوز السجود إلا لله ﷻ، كان الفرس والروم يعظمون ملوكهم فيسجدون لَهم، ولَمَّا رآهم معاذ بن جبل ﵁ وقدم على النَّبِي ﷺ أراد أن يسجد له، فمنعه -عليه الصلاة والسلام- من ذلك وقال: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها**»(١). فالسجود لا يكون إلا لله ﷿.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٨٦)، وابن أبِي شيبة (٤/ ٣٠٥) من حديث معاذ.

والْخُشوع [١٨].

---

[١٨] الخشوع من أعمال القلوب، والخشوع هو الرقة التي تكون فِي القلب، وهذا لا يكون إلا اللَّه ﷻ، فلا تَخشع لِمخلوق وإنَّما تَخشع للخالق تعظيمًا له ﷻ، ترق له وتفتقر إليه، وتبكي من خوفه وخشيته ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الْمُؤمنون: ٥٧].

والتذلل [١٩] والتعظيم الذي هو من خصائص الإلهية [٢٠].

---

[١٩] التذلل هو الخضوع، وهو -كما سبق- ركن من أركان العبادة، فالعبادة تدور على الْحُب والذل، والْخَوف والرجاء، فلا يكون الذل إلا للَّه ﷻ لا تذل لِمخلوق مثلك.

[٢٠] وهو التعظيم الذي يكون معه خضوع للمعظَّم، وصرف شيء من أنواع العبادة لِهذا المعظم، وصرف هذا النوع من التعظيم لغير اللَّه شرك باللَّه ﷻ.

ودليل الدعاء: [٢١] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] [٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤] [٢٣].

---

[٢١] لَمَّا ذكر أهم أنواع العبادة أراد أن يستدل لكل نوع من هذه الأنواع؛ لأن الكلام بدون دليل لا يُقبل؛ لاسيما الكلام فِي هذا الأمر العظيم المهم وهو الكلام فِي العبادات؛ لأن العبادات توقيفية، لا يُفعل منها شيء إلا بدليل.

[٢٢] هكذا يَجب أن تكون المساجد للَّه عز وجل، لا تُبنى للرياء والسمعة، أو تُبنى على الأضرحة والقبور، وإنَّما تبنى لعبادة اللَّه وحده لا شريك له، فهي بيوت اللَّه، ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. هذا مَحل الشاهد، حيث نهى أن يُدعَى معه غيره.

[٢٣] أي: هو الذي يدعى حقًّا، وأما غيره من الأصنام

ودليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] [٢٤].

والأحجار والقبور والأضرحة فدعاؤها باطل؛ لأنها لا تسمع ولا تقدر على إجابة من دعاها، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤]. لو جئت إِلَى ماء فِي قعر بئر وليس معك دلو ولا حبل، وجعلت تشير إِلَى الْمَاء ليرتفع إِلَى فمك فإنه لا يصل إليك، وهذا مثل مَن يدعو غير اللَّه عز وجل، فإن حصول نفعه له من الْمُستحيل كاستحالة وصول الْمَاء إِلَى من يبسط يده إلى الْمَاء ليرتفع إِلَى فمه دون أن يكون معه سبب يرفعه.

[٢٤] الدليل على أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]. فقدمَ الْمَعمول فِي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على العامل وهو ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وهذا يفيد الحصر، أي: لا نستعين بغيرك فِي الأمور الَّتِي لا يقدر عليها إلا أنت، لا نستعين بصنم ولا بوثن ولا بقبر ولا بِحجر ولا بشجر.

ودليل الاستغاثة: قوله تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] [٢٥].

---

[٢٥] يُذكِّر اللَّه المؤمنين بِمَا حصل لَهم فِي بدر، حين اشتد بِهم الأمر فاستغاثوا به فأغاثهم، قال تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] فأغاثهم اللَّه سبحانه وتعالى بالملائكة تثبتهم وتعينهم على القتال، وتوقع الرعب فِي قلوب الأعداء ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]. فالملائكة نزلت فِي ساحة القتال فِي بدر مع الْمؤمنين تثبتهم وتقوي قلوبهم، وتطمئنهم وتوقع الرعب فِي قلوب أعدائهم، وتعين الْمُؤمنين على القتال، فالذين يقتلون الكفار هم الْمُؤمنون، لكن الملائكة تُمدهم وتعينهم وتقويهم وتثبتهم.

ودليل الذبح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢] [٢٦] .

---

[٢٦] قرن النسك وهو الذبح مع الصلاة، والصلاة عبادة، فالنسك عبادة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ما أحيا عليه وما أموت عليه كله لله سبحانه وتعالى ثُمَّ قال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ نفى الشرك في الذبح وفي الصلاة، ونفى الشرك في الحياة والموت، ثُمَّ قال: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: يقول الرسول ﷺ: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني الله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٣] . أي: أول الْمُنقادين الْمُمتثلين لِهذا الأمر.

ودليل النذر: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧] [٢٧].

---

[٢٧] فدل على أن النذر عبادة يَجب إخلاصها للَّه، فمن نذر لغير اللَّه كالموتى والقبور والأضرحة فهو مشرك، وهذا يقع كثيرًا من الذين ينذرون للقبور وينذرون للأموات يتقربون إليهم بذلك، وهذا نذر معصية ونذر شرك، لا يَجوز الوفاء به، أما من نذر للَّه فإنه يَجب عليه الوفاء لأنه عبادة.

ودليل الخوف: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] [٢٨].

---

[٢٨] لَمَّا توعد الْمُشركون رسول اللَّه ﷺ وأصحابه بعد وقعة أحد وقالوا: إنا سنرجع إليكم ونستأصلكم، فالمؤمنون ما زادوا على أن قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. يعني نَحن نعتمد على اللَّه ولا يهمنا تهديدكم أو وعيدكم، فنحن نعتمد على اللَّه سبحانه وتعالى، ثُمَّ قال -جل وعلا-: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذا التخويف إنَّمَا هو من الشيطان، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يعني: يُخوفكم بأوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذا هو مَحل الشاهد، دل على أن الخوف نوع من أنوع العبادة يَجب أن يفرد اللَّه به.

ودليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] [٢٩].

---

[٢٩] قال الْمُفسرون: معناها -والله أعلم-: يرجو أن يرى ربه سبحانه وتعالى يوم القيامة فِي الْجنة، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فجعل الرجاء من العبادة وأمر ألَّا يشرك به معه غيره.

ودليل التوكل: قوله تعالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: ٢٣] [٣٠].

---

[٣٠] التوكل من أعظم أنواع العبادة، قال تعالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: ٢٣]. فمن توكل على اللَّه كفاه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. يعني: كافيه، ومن يتوكل على مَخلوق فإن اللَّه يَكِلُه إِلَى ذلك الْمَخلوق الضعيف.

وفِي هذه الَّتِي ساقها الْمُصنف جعل اللَّه التوكل شرطًا فِي صحة الإيْمان. فمن لَمْ يتوكل على اللَّه فليس بِمؤمن.

ودليل الإنابة: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤] [٣١].

[٣١] الإنابة: الرجوع، وأنيبوا: يعني: ارجعوا إليه بالطاعة وترك المَعصية، فالإنابة نوع من أنواع العبادة.

ودليل الْمَحبة: قوله تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] [٣٢].

ودليل الْخَشية: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] [٣٣].

---

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] لأنَّهم أحبوا اللَّه وحده، ولَم يُحبوا معه غيره، أما الْمُشركون فإنهم أحبوا مع اللَّه غيره؛ ولذلك صاروا مشركين.

[٣٣] فدل على أن الخشية نوع من أنواع العبادة، وأن من خشي غير اللَّه فترك ما أوجبه اللَّه عليه فقد أشرك به.

ودليل الرغبة والرهبة: قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] [٣٤].

---

[٣٤] لَمَّا ذكر اللَّه فِي سورة الأنبياء مواقف الأنبياء فِي العبادة ومواقفهم عند الابتلاء والامتحان، قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ أي: طمعًا فيما عند اللَّه، ﴿وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي: خوفًا من عقابه، فدل على أن الرغبة والرهبة نوعان من أنواع العبادة يَجب إخلاصهما للَّه، قال تعالَى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [التوبة: ٥٩]. قدم الجار والْمَجرور ليفيد الحصر، أي: لا نرغب إلَى غيره سبحانه وتعالى.

وفِي الآية رد على الصوفية الذين يقولون: لا نعبده خوفًا من ناره ولا طمعًا فِي جنته، وإنَّما نعبده لأننا نُحبه وهذا مُخالف لِما عليه الأنبياء.

ودليل التأله : قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] [٣٥] .

---

[٣٥] إلَهكم : يعني : معبودكم المستحق للعبادة، إله واحد وهو الله سبحانه وتعالى لا يستحق العبادة غيره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج ٦٢] . وكل من عبد غير الله فقد اتَّخذه إلهًا، لكنه إله باطل، والإله الحق هو الله سبحانه وتعالى ، فالألوهية حق لله عز وجل لا يَجوز أن نتأله لغيره .

ودليل الركوع والسجود: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧] [٣٦].

---

[٣٦] حيث أمر اللَّه بالركوع والسجود، والركوع هو الخضوع بالرأس والانحناء، والسجود: وضع الجبهة على الأرض على وجه التعظيم، هذا لا يكون إلا للَّه سبحانه وتعالى، لا يَجوز لأحد أن يركع لأحد، ولا أن يسجد لأحد، فإن ركع لغير اللَّه أو سجد لغير اللَّه فهو مشرك.

ودليل الخشوع: قوله تعالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩] [٣٧] ونَحوها، فمن صرف شيئًا من هذه الأنواع لغير اللَّه تعالَى فقد أشرك باللَّه غيره [٣٨].

---

[٣٧] الخشوع هو الانْخفاض وعدم الترفع، وهو نوع من أنواع العبادة، وهذه فيها الثناء على مؤمني أهل الكتاب الْمتَّصفين بهذه الصفة، فهم لا يَخشعون لغيره سبحانه وتعالى.

[٣٨] لأن هذه كلها من أنواع العبادة، فمن صرف منها نوعًا فإنه يكون مشركًا باللَّه فِي عبادته الشرك الأكبر الذي لا يُغفر إلا بالتوبة، وكثير من الناس يدَّعون الإسلام ويصرفون أنواعًا كثيرة من هذه الأنواع لغير اللَّه عز وجل، نسأل اللَّه العافية، ويعتبرون هذا ليس من العبادة وإنَّما هؤلاء شفعاء ووسائط تقربهم إِلَى اللَّه، يزين لَهم شياطين الجن والإنس هذا العمل، ويسمون الشرك بغير اسمه، يسمونه طلبًا للشفاعة، يسمونه توسلًا إِلَى اللَّه سبحانه وتعالى، إِلَى غير ذلك من الأسماء الَّتِي أضلوا بِهَا

كثيرًا من الرعاع، لاسيما وأنهم يرغِّبون بأنه مَن فَعَل هذا حصل له كذا، وأن من لَمْ يفعله يحصل عليه كذا، ويرهبونهم، فالناس الذين ليس فيهم إيْمان قوي يتأثرون بِهذا الوعيد أو بهذه الوعود والترهيبات، فيمارسون هذه الأنواع إما خوفًا وإما رجاء، تأثرًا بِمَا يسمعون وما يقرءون من الدعاية لعبادة غير اللَّه عَزَّوَجَلَّ، ولا يسمونها شركًا بل يقولون إنها من صميم التوحيد، والذي ينكرها يصفونه بأنه خارجي، وهو الذي لا يعرف قدر الصالحين.

ولا يتأملون القرآن والسنة؛ لأن اللَّه أعمى بصائرهم فلم يلتفتوا إِلَى دلائل القرآن والسنة، وإنَّما يلتفتون إِلَى أقوال شيوخهم ومعظِّميهم ويقولون: هم أعلم منا بالقرآن، وأعلم منا بالسنة، هذا من ناحية.

والناحية الثانية: أنهم يقولون أن من قال لا إله إلا اللَّه فإنه مسلم مؤمن ولو عمل ما عمل من الأمور، لو يدعو الأموات ويستغيث بِهم ويذبح لَهم، ما دام أنه يقول: لا إله إلا اللَّه فهو مسلم.

وهو إنَّمَا يقول: لا إله إلا اللَّه لفظًا ويناقضها معنىً، وهذا

فإن قيل: فما أجلُّ أمرٍ أمَرَ اللَّه به؟

قيل: توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه، وأعظم نهي نهى اللَّه عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع اللَّه غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة [٣٩].

لا يفيده شيئًا، هو قالها بلسانه لكن خالفها باعتقاده وخالفها بأفعاله، فلا تفيده لا إله إلا اللَّه شيئًا لأنه أبطلها وناقضها.

[٣٩] أعظم ما أمر اللَّه به التوحيد، وأعظم ما نهى اللَّه عنه الشرك، فالتوحيد هو أعظم الْمَأمورات، والشرك الْمَنهيات أعظم من شرب الخمر، وأعظم من قتل النفس بغير حق.

والتوحيد هو أعظم ما أمر اللَّه به، أعظم من الصلاة وأعظم من الزكاة، وأعظم من جميع أنواع العبادة، ولذلك أول ما بدأ به الرسول بالدعوة إِلَى التوحيد، شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه، فإذا نطق بالشهادتين فإنك تأمره بالصلاة، وتأمره بالزكاة، وتأمره بالْحَج، أما ما دام أنه لَمْ ينطق بالشهادتين لا تقل له: صَلِّ؛ لأنه لو صلى فلا فائدة فِي ذلك، ولا تقبل صلاته، ولِهذا قال النَّبِي ﷺ لِمعاذ: «**إنك تأتي قومًا**

فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه تعالَى فقد اتَّخذه ربًّا وإلَهًا، وأشرك مع اللَّه غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، وقد تقدم من ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى اللَّه عنه، وأنكره على الْمُشركين، وقد قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]. وقال تعالَى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم خمس صلوات فِي اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم صدقة»[١].

يعني: الزكاة، فلم يأمرهم بالصلاة ولا بالزكاة قبل أن يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحمدًا رسول اللَّه، فأعظم ما أمر اللَّه به التوحيد؛ لأنه الأصل والأساس والقاعدة لِهذا الدين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المَائدة: ٢] [٤٠]. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[٤٠] هذا واضح، وهذا يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٨]. فإذا كان الشرك لا يقبل الْمَغفرة وغيره يقبل المغفرة، فهذا دليل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، الزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الربا هذه قابلة للمغفرة فهي تَحت الْمشيئة، إن شاء الله غفر لأصحابها، وإن شاء عذبهم، ولكن لا يُخلدون فِي النار، وإنما يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يَخرجون من النار؛ لأنَّهم من أهل التوحيد وأهل الإيْمان، أما الشرك فإنه لا يغفر، وصاحبه لا يَخرج من النار أبدًا، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧]. ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المَائدة: ٧٢].

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

* * *